مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

"الرهائن السياسيون في عصر النبي (ﷺ)

الباحثة/ إسراء صالح مصطفى

مقدمة :

لم تكن سياسة اتخاذ الرهائن بدعة في تاريخ الحضارة الإسلامية ولكنها عادة قديمة وجدت في كثير من الحضارات, وقد شاعت سياسة اتخاذ الرهائن في عصر الرسول (ﷺ) حيث تعددت الأسباب التي أدت إلى اتخاذ الرهائن كما أثر أخذ هؤلاء الرهائن على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي بدورها كان لها اثر على الدولة الاسلامية الناشئة في ذلك الوقت, كما سنرى .

بعد انتصار المسلمون في غزوة بدر[١] سنة (٢هـ / ٦٢٣م) وقع العديد من المشركين أسرى في أيدى المسلمين وكان من بينهم عمرو بن أبى سفيان بن حرب[٢], وعندما جاءت قريش في فداء أسراها طلبوا من أبى سفيان أن يدفع المال ليفك أسر ابنه ولكنه رفض قائلاً: " أيجتمع على دمى ومالي قتلوا حنظلة [٣] وأفدى عمراً دهوه في أيديهم يمسكوه ما بد لهم "[٤].

---

[١] بدر : بفتح أوله وسكون ثانيه – ماء من مياه العرب الشهيرة , وأسواقهم المشهورة , وقد أطلق على هذا المكان اسم أول من حفر بئراً فيه وهو رجل من غفار, واسمه بدر بن قريش بن مخلد, وتقع بدر جنوب غرب المدينة, وتقع شمالي مكة, وسميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها. ابن الأثير: الكامل في التاريخ, تحقيق أبى الفدا عبد الله القاضي, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان ١٩٨٧م, ج٢, ص١٥؛ محمود شيت خطاب: غزوة بدر الكبرى, دار الفكر, الاسكندرية٢٠٠٢م,ص٣١.

[٢] عمرو بن أبى سفيان : هو عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى, أسر يوم بدر, وأسلم يوم الفتح (٨هـ / ٦٢٩م) .الأصبهاني : معرفة الصحابة, تحقيق عادل العزازى, دار الوطن, الرياض ١٩٩٨م, ص ٢٠٦٨؛ محمود شاكر : التاريخ الإسلامي, ط ٧, المكتب الإسلامي, القاهرة ٢٠٠٠م, ج٤, ص ٦٠ .

[٣] حنظله بن أبى سفيان: هو حنظلة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس, أخو معاوية وعمرو, قتل يوم بدر كافراً ولا عقب له . ابن سعد : الطبقات الكبرى, تحقيق إحسان عباس, دار صادر, بيروت١٩٦٨م, ج١, ص ٦٦.

[٤] الأزدي : الاشتقاق, تحقيق عبد السلام محمد, دار الجيل, بيروت– لبنان ١٩٩١م, ص ٤٤٠؛ ابن الأثير: المصدر السابق, ج ٢, ص٢٩ .

وفى ذلك الوقت أقبل سعد بن النعمان [١]إلى مكة[٢] معتمراً فلقيه أبو سفيان فحبسه عنده بابنه عمرو[٣] وأصبح سعد رهينة عند أبى سفيان , ثم قال أبو سفيان :

أرهط ابن أكال اجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بنى عمرو[٤] لئام أذلة لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا [٥]

فأجابه حسان بن ثابت [٦] (ت ٥٠هـ / ٦٧٠م) قائلاً :

لو كان سعد يوم مكة مطلقا لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا

بعضب حسام أو بصفراء نبعت تحن إذا ما انبضت تحفز النبلا [٧]

فذهب بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله (ﷺ) فأخبروه خبره وطلبوا منه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان ليفكوا به صاحبهم , فوافق الرسول على ذلك وأعطاهم عمراً فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد[١] .

---

[٥] سعد بن النعمان : هو سعد بن النعمان بن زيد بن أكال بن لوذان بن الحارث بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري, هو أحد بنى عمرو بن عوف, وأحد شيوخ المسلمين. الطبري:تاريخ الرسل والملوك, تحقيق محمد أبو الفضل, دار الكتب العلمية, بيروت ١٩٦٨م, ج٢ ص٤٢؛ ابن الأثير :أسد الغابة في معرفة الصحابة دار ابن حزم, بيروت– لبنان٢٠١٢م , ص٤٧٩.

[٦] مكة :هي بيت الله الحرام, طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة, وعرضها ثلاث وعشرون درجة, سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم, ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها, وقيل ايضا سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة, وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا, والمكاء بتشديد الكاف: طائر يأوي الرياض, لمزيد من التفاصيل انظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان, دار صادر, بيروت ١٩٩٧م, ج٥, ص ١٨٣؛ أبى عبيد البكري: المسالك والممالك, دار الغرب الإسلامي,١٩٩٢م, ج٢, ص ٣٦.

[٧] الطبري : تاريخ الرسل والملوك , ج٢, ص ٤٦٧ ؛ المباركفورى: الرحيق المختوم, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان , ١٩٨٨م, ص ٢٠٩ .

[١] بنى عمرو بن عوف : عمرو بن عوف, بطن من الأوس, من الأزد, من القحطانية, وهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. من منازلهم : قباء, وهم أفخاذ كثيرة منهم: بنو ضبيعة, بنو السميعة, وبنو لوذان. ابن حزم : جمهرة أنساب العرب, تحقيق لجنة من العلماء , دار الكتب العلمية, بيروت ١٩٨٣م, ص ٣٣٢ .

[٢] الطبري : المصدر السابق .

[٣] حسان بن ثابت : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار . واسمه تيم الله , يكنى أبا الوليد , كان قديم الإسلام ولم يشهد مع النبي (ﷺ) مشهداً واحداً , وهو شاعر الرسول (ﷺ), وكان حسان (ﷺ) ممن خاض في قول الإفك , فجلد فيه , وتوفى حسان سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) ابن الأثير : أسد الغابة ,ص ٢٧٠ .

[٤] ابن هشام:السيرة النبوية, ط٢ , تقديم وتعليق عبدالرؤوف سعد , دار الجيل, بيروت ١٩٧٥م,ج٢, ص٢١٢, ٢١٣.

فاستخدم الرهينة هنا لفك الأسير.

وقد أثر أخذ سعد رهينة على الوضع السياسي والعسكري فبأخذ سعد رهينة حدثت عملية مبادلة بين المسلمين وقريش؛ فعاد عمرو إلى أبى سفيان, وعاد سعد إلى بنى عمرو بن عوف.

ويتضح هنا أن أبا سفيان أجبر القيادة العسكرية على فك ابنه بدون مقابل مادى حيث تم التبادل بين الطرفين, كما يدل موقف رسول الله من موافقته على تسليم عمرو إلى بنى عمرو فبهذا ضرب رسول الله (ﷺ) المثل الاعلى في الأخلاق حيث قام بتسليم عمرو لبنى عمرو بن عوف بدون مقابل.

كما قدم مكرز بن حفص[٢] نفسه رهينة للمسلمين بدلاً من سهيل بن عمرو[٣] الذى كان من ضمن أسرى غزوة بدر والسبب في ذلك؛ أن مكرز جاء في فداء سهيل وكان سهيل قد فاوض المسلمون على أن يدفع لهم المال ليفك أسره ومانت القيمة المالية لفك الأسير تتراوح من ١٠٠ درهم[٤] إلى ٤٠٠ألف درهم, فقالوا له : هات الذى لنا, فقال لهم

---

[٥] ابن عبدالبر:الدرر في اختصار المغازي والسير, ط٣, تحقيق شوقي ضيف, دار المعارف, القاهرة ١٩٨٢م, ص١١١ .

[٦] مكرز بن حفص : هو مكرز بن حفص بن الأخيف بن علقمة بن عبد الحرث بن مقذ بن عمرو بن بغيض بن عامر بن لؤي القرشي العامري, كان من كبار قريش, وهو الذى أقبل لفداء سهيل بن عمرو يوم بدر, وكان معه عندما ذهب سهيل إلى رسول الله (ﷺ) لعقد صلح الحديبية سنة (٦هـ / ٦٢٧م). أبو خيثمة : التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبى خيثمة, تحقيق صلاح بن فتحي هلال, الفاروق الحديثة, القاهرة ٢٠٠٦م, ج١, ص ١٦٩.

[٢] سهيل بن عمرو : هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك القرشي العامري , كان من أشراف قريش وساداتهم في الجاهلية , وكان خطيبا مصقعا, فعندما وقع في الأسر, قال سيدنا عمر بن الخطاب(ﷺ) لرسول الله (ﷺ) : دعني انزع ثنتي سهيل , يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن ابداً ؟ فقال له رسول الله (ﷺ) : "لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً " ثم قال (ﷺ) لعمر (ﷺ) : " انه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه" لمزيد من التفاصيل انظر : الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام, تحقيق بشار عواد, دار الغرب الإسلامي, بيروت – لبنان , (د.ت), ج٢, ص ٨٨ ؛ الحميدي : التاريخ الإسلامي, دار الأندلس الخضراء, جدة ١٨٩٨م, ج٤, ص ٨٨١ .

[١] الدرهم Derham : هو نوع من أنواع العملات المعدنية التي تداولها العرب المسلمون منذ بداية العصر الإسلامي, والدرهم ستة دوانق, والدونق هو سدس الدرهم, اشتق اسمها من الأصل اليوناني دراخمة (Drachma) جاءتهم عن طريق الفرس, والدرهم مصكوك من الفضة, والنحاس. الفيومي : المصباح =المنير, مكتبة لبنان, لبنان – بيروت ١٩٨٧م, ج١, ص ٧٣ ؛ مصطفى عبد الكريم : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية, مؤسسة الرسالة, بيروت ١٩٩٦م, ص ١٧٩, ١٨٠ .

مكرز : اجعلوا رجلي مكان رجله[١] حتى يأتي بالمال, فخلوا سبيله وأخذوا مكرز رهينة عندهم [٢].

وقال مكرز في ذلك :

فَدَيْتُ بِأَذْوَادٍ ثَمَانٍ سِبَا فَتَى يَنَالُ الصَّمِيمَ غُرْمُهَا لَا الْمُوَالِيَا

رَهَنْتُ يَدَيَّ وَالْمَالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدَيَّ عَلَيَّ وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْمَخَازِيَا [٣]

ومما يلفت النظر هنا موقف مكرز حيث كان هناك حل أخر غير أن يرهن نفسه مكان سهيل, فكان من السهل أن يعرف القيمة المالية المتفق عليها ويأتي بها ويفك أسر سهيل ولكنه خاف من الخزي والعار فلاهن نفسه مكان سهيل حتى يأتي سهيل بالمال, كما يدل ذلك على قوة العلاقة بين مكرز وسهيل, وأخذ مكرز رهينة بهذا الشكل يندرج تخت بند الرهائن الطواعين حيث سلم نفسه للمسلمين بإرادته .

ونجد أن موافقة المسلمين على رهن مكرز مكان سهيل يدل على مرونة المسلمين في التعامل مع اعداء الدعوة .

وقد أثر ذلك على الوضع الاقتصادي للمسلمين فالمال الذى سيأتي به سهيل سيؤدى إلى انتعاش الاقتصاد الإسلامي فقد كانت القيمة المالية لفك الأسير كبيرة تقدر ب ٤٠٠ ألف درهم وهى قيمة لا يستهان بها وسوف تحل الكثير من مشاكل المالية والاقتصادية للمسلمين خاصة في وقت كانوا فيه امس الحاجة إلى المال وذلك بعد أن تركوا كل ما يملكون في مكة مقابل الفرار بدينهم ونشر دين الله .

---

[٢] الواقدي : المغازي, ط٣ , تحقيق مارسدن جونز, دار الكتب, لندن ١٩٨٤م, ج١, ص ١٩٥ .

[٣] ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك, تحقيق محمد عبد القادر – مصطفى عبد القادر, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان ١٩٩٢م, ج٣, ص ١٢٤؛ أبو بكر الجزائري : هذا الحبيب يا محب, دار الشروق, جدة ١٩٨٩م, ص ٢٣٢ .

[٤] المرزباني : معجم الشعراء, تحقيق ف . كرنكو, دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان ١٩٨٢م, ص٣٦٢ .

وقد طلب كعب بن الأشرف[١] من محمد بن مسلمة (ﷺ) [٢] ومجموعة من المسلمين أن يعطوه أبناءهم أو نسائهم رهائن عنده مقابل وسق[٣] أو وسقين وكان السبب في ذلك :

أن كعب بن الأشرف هجا الإسلام والمسلمين, فقال النبي (ﷺ) من لكعب بن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة : أتحب أن أقتله ؟ فقال له رسول الله (ﷺ) : نعم, فاتفق محمد بن مسلمة هو ومجموعة من المسلمين على وضع خطة للتخلص منه, فذهبوا إليه وشكوا إليه معانتهم من الدين الجديد ومن فروضه وطلبوا منه أن يسلفهم وسق أو وسقين حتى يروا نهاية هذا الدين الجديد, فطلب منهم أن يرهنوا أبنائهم فرفضوا ثم طلب منهم أن يرهنوا نسائهم فرفضوا, ثم اتفقوا على أن يرهنوا سلاحهم, وقد تمكنوا من تنفيذ خطتهم التي انتهت بقتل كعب والتخلص منه[٤].

ويتضح من هنا اهتمام النبي(ﷺ) بقطع جذور الفساد قبل استحفالها فقد كان ابن الأشرف يشكل خطر كبير على المسلمين وذلك لكونه أحد سادات اليهود من جهة, ولكونه شاعراً من جهة أخرى, والشعر له أثر كبير على العرب, لذلك كان لابد من القضاء عليه قبل أن ينجح في تأليب قريش والقبائل الأخرى على المسلمين.

---

[١] كعب بن الأشرف : من بنى نبهان, من قبيلة طئ, وأمه من بنى النضير وهى عقيلة بنت أبى الحقيف, كان من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين, وكان غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب, وكان شاعراً من شعرائها وكان حصنه في شرق جنوب المدينة في خلفيات ديار بنى النضير. ابن حجر العسقلاني : فتح الباري في صحيح البخارى, تحقيق عبد القادر شيبة, مكتبة الملك فهد, الرياض ٢٠٠١م, ج٥, ص ١٦٥ .

[٢] محمد بن مسلمة : هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس حليف لبنى عبد الأشهل, شهد بدرا والمشاهد كلها, ومات بالمدينة ولم يستوطن غيرها وكانت وفاته بها في صفر سنة (٤٣هـ / ٦٦٣م). الصدفي : تاريخ ابن يونس المصري, دار الكتب العلمية, بيروت ١٤٢١هـ, ج١, ص ٤٦٢ .

[٣] الوسق : بفتح الواو وكسرها, والفتح أشهر, والوسق مكيلة معلومة وقيل : هو حمل بعير, يقال عنده وسق من التمر وجمعه : أوساق, وهو ستون صاعاً, والصاع : خمسة أرطال وثلث, فالوسق : يساوى ٦٠صاع, والصاع يساوى ٧٥ جرام, فيكون مقدار الوسق (١٣٠جرام و ٥٠٠جرام) .الفيومي : المصباح المنير : ج١, ص٢٥٣ عبد الله بن سليمان المنيع : تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة , مجلة البحوث الإسلامية , إدارة البحوث العلمية والإفتاء , العدد (٥٩) , الرياض ٢٠٠٠م , ص ١٨٤.

[٤] محمد بن عمر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار, دار المناهج, جدة ١٩٩٨م, ص ١٨٨ .

أما بالنسبة لأثر قتل ابن الأشرف على اليهود :

فقد اثر ذلك على الوضع السياسي والاجتماعي فقد احتج اليهود على ما فعله المسلمون وذهب أحبار اليهود إلى الرسول(ﷺ) يشتكون له ما فعله أصحابه , وملئ الرعب نفوسهم ولم يتجرأ أحد منهم على الخروج على المسلمين وتحصنوا في ديارهم واضطر اليهود إلى تجديد المعاهدة مع رسول الله (ﷺ) حيث أنهم علموا أن الرسول لن يتوانى عن استخدام القوة مع أعداء الإسلام .

وقتل كعب بن الأشرف[١] هو الذى نزل فيه قول الله تعالى : " {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} [٢] .

وقال سيدنا على بن أبى طالب (ﷺ) في قتل ابن الأشرف :

ألستم تخافون أدنى العذاب وما أمن الله كالأخوف

وإن تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب بن الأشرف [٣]

واستمر القتال بين المسلمين وقريش وتعددت الغزوات بينهم, ففي أثناء تجمع الأحزاب لقتال المسلمين في غزوة الخندق سنة (٥هـ / ٦٢٦م) ذهب حيي بن الأخطب[٤] إلى بنى قريظة[٥] يطلب منهم الانضمام لهم حيث أن بنى قريظة كانوا في عهد مع رسول الله (ﷺ)

---

[١] الذهبي : تاريخ الإسلام, ج١, ص ٩٩؛ أبو بكر الجزائري : هذا الحبيب ي محب, ص٢٥٥.

[٢] سورة النساء : الآية " ٥١" .

[٣] ابن اسحاق : السيرة النبوية , ج١ , ص ٣٢٩.

[٤] حيي بن أخطب : يحيا من باب تعب حياة فهو حي وتصغيره حيي, هو حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير, هو سيد بنو النضير قبل الإسلام, وهو والد أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب, كان من أعلم اليهود بدينهم كما كان من أشد مقاتليهم, وكان من ضمن محرضي قريش وغطفان ضد رسول الله (ﷺ) . الفيومي : المصباح المنير, ج١ , ص ٦٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية, ج١١, ص ٢٢٤ .

[٥] بنى قريظة : هم طائفة من يهود المدينة يسكنون في الأقسام الجنوبية من المدينة, وكانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة, وعقدوا معاهدة مع رسول الله (ﷺ) عند قدومه إلى المدينة, ثم نقضوها سنه (٥هـ / ٦٢٦م) في غزوة الخندق, وانتهى أمرهم بحكم سعد بن معاذ (ﷺ) فيهم بأن يقتل رجالهم وتسبى ذراريهم ونسائهم . السيوطي : الخصائص الكبرى, دار الكتب العلمية, بيروت ١٩٨٥م, ص ٣٩٠ .

ولكن كعب الانضمام له في البداية, ولكن بعد الحاح من رئيس بنى النضير[١] وافق كعب[٢] وبنى قريظة على الانضمام الى الأحزاب وأمر حيي أن يأخذ لهم من قريش وغطفان[٣] رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم سوء إن هم رجعوا ولم يناجزوا النبي (ﷺ), وكانت الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم, فوافق حيي على ذلك وبذلك نقض بنى قريظة عهدهم مع رسول الله [٤] .

ولكن ! ما هي النتائج التي ترتبت على نقض العهد ؟

أدى ذلك إلى اشتداد المحنة على المسلمين فقد أصبحوا بمفردهم أمام الأحزاب وهذا ما كان يخشاه النبي(ﷺ) منهم لذلك حاول رسول الله(ﷺ) أن يرفع معنويات المسلمين

---

[١] بنى النضير :هم طائفة من اليهود كانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة, حيث نزل بنو النضير على مذينبيب ومهزوز, وكان مذينيب وادياً في يثرب يسيل فيه ماء المطر فكان يهود هذه القبيلة يزرعون على المطر, وكانوا أول من احتفر الآبار بالعالية وغرسوا الأموال وابتنوا الآطام والمنازل, ونزل عليهم بعض قبائل العرب فسكنوا معهم, فاتخذوا الأموال وابتنوا الدور والحصون, وحاصرهم رسول الله (ﷺ) بعد نقض العهد معه حتى تم جلاؤهم من المدينة وذلك سنه (٤هـ/ ٦٢٥م), وأنزل الله (ﷻ) فيهم قوله تعالى {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} سورة الحشر : الآية " ٢" . ابن القيم : زاد المعاد في هدى خير العباد , ضبط شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, بيروت ٢٠٠٩م, ج٣, ص ٢٢٢ .

[٢] كعب بن أسد :هو كعب بن أسد القرظي سيد بنى قريظة , كان سيد قومه وحليف الأوس من الأنصار قبل قدوم النبي (ﷺ) إلى المدينة , وعندما وصل رسول الله (ﷺ) إلى المدينة عقد بينه وبين رسول الله (ﷺ) ميثاق حلف وأمان بين المسلمين وبنى قريظة, ولكنه تحالف مع حيي بن أخطب ونقض عهده مع رسول الله (ﷺ). مما تسبب في وقوع غزوة بنى قريظة سنة (٥هـ/ ٦٢٦م) وهى التي أدت إلى مقتله ولمقتل رجال كثيرين من بنى قريظة . السهيلي : الروض الأنف, تعليق مجدى بن منصور, دار الكتب العلمية, بيروت, (د .ت), ج٣ , ص ٤٢٢ .

[٣] غطفان : هم فرع من قيس عيلان, وقيس عيلان شعبة من قبائل مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم . ابن القيسرانى : الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط, تحقيق دي يونج, طبعة ليدن, بريل ١٨٦٥م, ص ١١٥ .

[١] ابن كثير : السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) تحقيق مصطفى عبد الواحد, دار المعرفة, بيروت – لبنان ١٩٧٦م, ج٣, ص ١٩٩ . ؛ الشامي : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد , ج٤ , ص ٣٧٤ ؛ عبد الصبور مرزوق : السيرة النبوية في القرآن الكريم , رابطة العالم الإسلامي , العدد (٦) , رمضان ١٤٠١هـ , ص٢٠١ .

وحاول أن يعقد اتفاقية مع غطفان لكى يتركوا جيش الأحزاب , ولكن الله أرسل إليهم نعيم بن مسعود الغطفانى(ﷺ) [١] الذى أدى إلى انقلاب الموازين لصالح المسلمين .

فقد قام نعيم بدور كبير كان في صالح المسلمين بعد أن كان موقفهم ضعيف أوشك على الانهزام خاصة بعد نقض يهود بني قريظة عهدهم مع النبي (ﷺ) , فقد جاء نعيم(ﷺ) مسلماً الى رسول الله(ﷺ) وقال له : يا رسول الله أمرني بما شئت فإني قد أسلمت ولا أحد يعلم بإسلامي, فقال له النبي(ﷺ) : " إنما انت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت, فإن الحرب خدعة " [٢].

فذهب نعيم إلى بنى قريظة فقال لهم : يا بنى قريظة إنكم قد حاربتم محمداً, وان قريش إن أصابوا فرصة انتهزوها, إلا انشمروا إلى بلادهم, وتركوكم ومحمداً فانتقم منكم. قالوا : فما العمل يا نعيم ؟ قال : لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن[٣] .

ثم ذهب إلى قريش, فقال لأبا سفيان ولهم : تعلمون ودى ونصحى لكم ؟ قالوا : نعم, فقال : إن يهود بنى قريظة قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه وأنهم قد راسلوه انهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها اليه, ثم يمالئونه عليكم, ثم تركهم وذهب إلى قومه غطفان, فقال لهم مثلما قال لقريش[٤] .

فعندما أرسل ابو سفيان إلى بنى قريظة للاستعداد للحرب رفضوا الاشتباك معهم حتى يعطوهم رهناً ثقة لهم, وبذلك تأكد لهم كلام نعيم, وبذلك تمكن من التخذيل بين

---

[٢] نعيم بن مسعود : هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي, هاجر إلى رسول الله (ﷺ) في غزوة الخندق (٥هـ / ٦٢٦م), وأعلن إسلامه , سكن المدينة, ومات في خلافة الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) (٢٣ – ٣٥هـ / ٦٤٣– ٦٥٥م) . ابن قانع البغدادي : معجم الصحابة, تحقيق صلاح بن سالم, مكتبة الغرباء الأثرية, المدينة المنورة ١٤١٨هـ, ج٣, ص ١٤٧.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ, ج٢, ص ٧٥ .

[٤] العامري : بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل, دار صادر, بيروت, (د.ت), ج ١, ص ٢٦٩ .

[٥] ابن هشام : السيرة النبوية, ج٣, ص ١٣٨ .

الأحزاب وانقلاب الأوضاع لصالح المسلمين[1], ولم يكن هذا أول موقف لنعيم مع المسلمين حيث كانت له مواقف تذكر كانت في صالح المسلمين[2] .

وبذلك تمكن نعيم (ﷺ) من زرع الشك بين الأطراف المتحالفة ضد النبي (ﷺ) والمسلمين وانعدمت الثقة بين قادة الأحزاب مما أدى إلى كسر شوكتهم وتهبيط عزيمتهم .

وهناك عدة أسباب ساعدت على إتمام هذه المهمة وهى :

١- اخفاء نعيم إسلامه عن كل الأطراف المتحالفة

٢- نجاح نعيم في اقناع كل الأطراف بأن يكتم كل طرف ما قاله له, وفى استمرار هذا الكتمان يكمن نجاح المهمة, فلو انكشف أمره لدى أي طرف من الأطراف لفشلت المهمة .

ولذلك فإن غزوة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل أنها كانت معركة أعصاب وعلى الرغم من أنه لم يحدث بها قتال إلا أنها من أحسم المعارك في التاريخ الإسلامي, كما أنها المعركة الحاسمة الثانية بعد غزوة بدر الكبرى, فلو نجح المشركون واليهود في هذه المعركة لتغيرت وجهة التاريخ الإسلامي .

وبهذا الدور الذى قام به نعيم بن مسعود نجده أنه قد أثر على الموقف العسكري حيث أنه تمكن من زرع الشك بين الأحزاب وإعادة الثقة إلى المسلمين مرة أخرى بعد أن كانوا في موقف حرج وكانت كل الأوضاع تدل على قرب هزيمتهم , فقد أصبحت كل الأمور ضدهم سواء بعد أن رأوا كثرة عدد الأحزاب وقلة عددهم وبعد نقض بنى قريظة عهدهم مع رسول الله (ﷺ) , وقد كان حيي بن الأخطب هو السبب في نقض هذا العهد فقد ذهب إلى رئيس بنى قريظة كعب بن أسد واقنعه أن يدخل في صفهم وينقض عهده مع الرسول (ﷺ) ,

---

[1] ابن الأثير :المصدر السابق, ج٢, ص٧٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية , ج٦, ص ١٢٨

[2] ولم يكن هذا أول موقف لنعيم بن مسعود مع رسول الله (ﷺ) والمسلمين , فقد قدم المدينة وهو على دين قومه فنزل على كنانة بن أبى الحقيق في بنى النضير فشرب معه , وشرب معه سليط بن النعمان بن أسلم _ ولم تحرم الخمر يومئذ _ وهو يأتي بنى النضير ويصيب في شرابهم , فذكروا خروج صفوان بن أمية في عيره وما معهم من الأموال , فخرج من ساعتها إلى النبي (ﷺ) فأخبره , فأرسل رسول الله زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترضوا لها فأصابوا البعير وهى ما تعرف بسرية القردة وكانت في سنة (٣هـ/ ٦٢٤م) . الواقدي: المغازي , ج١, ص ٢٥٠.

وبالفعل تمكن من اقناعه وقام كعب بنقض العهد والانضمام إلى قريش والأحزاب , فقد أثر ذلك على موقف المسلمين وازداد الموقف سوءاً

يرى أحد المؤرخين[١] أن أبا سفيان أصبح رهينة بيد المسلمين وذلك قبل فتح مكة سنة (٨هـ / ٦٢٩م) , وحدث ذلك عندما أتى به العباس (ﷺ) إلى الرسول (ﷺ) لكى يستأمن لأبى سفيان, فهم عمر بن الخطاب (ﷺ) به وأراد أن يقتله, ولكن أجاره العباس (ﷺ), حيث أمر الرسول بعد ذلك بأن يحبس أبى سفيان ببطن الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها[٢] .

وكان الهدف من حبسه هذا أن الرسول (ﷺ) كان يريد أن يشن حرب نفسية للتأثير على معنويات قريش حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة , وحتى يرى أبو سفيان بعيني رأسه مدى القوة التي وصل اليها الجيش الإسلامي من حيث القوة والتنظيم وحسن الطاعة والانضباط , وبذلك تتحطم أي فكرة في نفوس المكيين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش عند دخوله مكة .

وقد أثر أخذ أبى سفيان رهينة على الوضع العسكري حيث أدى ذلك إلى القاء الرعب في نفوس القرشيين وخاصه بعد إسلام أكبر رؤساء قريش هو أبو سفيان الذى كان من أشد المعارضين للإسلام والمسلمين والذى كان من أكبر رجال السياسة القتالية فأدى ذلك إلى دخول مكة بدون قتال وبدون حرب تذكر وكل ذلك يرجع في المقام الأول إلى فضل الله (ﷻ) وإلى حنكة وفطنة رسولنا الكريم (ﷺ) لأنه يعلم مدى مكانة أبى سفيان عند قريش وإن له كلمة مسموعة لديهم.

وبذلك فقد تعددت الأسباب التى أدت إلى سياسة اتخاذ الرهائن في عصر الرسول (ﷺ) , وبعد البحث توصلنا إلى :

١- شيوع كلمة الرهائن على لسان العرب في عصر الرسول (ﷺ) .

٢- مكرز بن حفص من الرهائن الطواعين :

حيث قدم مكرز نفسه رهينة للمسلمين بدلاً من سهيل بن عمرو عندما جاء لفدائه .

---

[٣] الصلابى : السيرة النبوية , ص ٤٤٠ .

[٤] إحسان صدقي : الجذور التاريخية للأسرة الاموية ,حوليات كلية الآداب , العدد (١٧) , الكويت ١٩٩٦م , ص ١٠٩ . www.kutubpdfcafe.info/book

٣- الشعر من أهم الأسباب التي دعت المسلمين إلى التخلص من المحرضين على الإسلام .

٤- الرهائن تكون رجال ونساء :

فالرجال : قد أصبح سعد بن النعمان رهينة عند أبى سفيان بن حرب حتى حدثت عمليه مبادلة بين المسلمين وقريش فقد عاد عمرو بن أبى سفيان إلى أبيه وعاد سعد بن النعمان إلى قومه عمرو بن عوف .

أما النساء : فعندما أراد المسلمون التخلص من اليهودي كعب بن الأشرف وضعوا خطة للتخلص منه فكان من ضمن الخطة طلب المساعدة منه فذهبوا إليه فطلب منهم أن يرهنوا نسائهم لكى يساعدهم .

٥- الكتمان من أهم العوامل التي تساعد على نجاح العمليات العسكرية :

وقد ظهر ذلك في موقف نعيم بن مسعود الغطفاني حيث أنه أخفى إسلامه وذهب إلى رسول الله (ﷺ) وأخبره بإسلامه وقد تمكن بذلك الكتمان من أن يخذل بين الأحزاب في غزوة الخندق سنة (٥هـ / ٦٢٦م) وقد أدى ذلك إلى قلب الموازين حيث تفرق الأحزاب وعادت الروح المعنوية للمسلمين مرة أخرى وانتهى أمر المسلمين في هذه الغزوة بانتصارهم دون قتال .

*****

قائمة المصادر والمراجع :-القرآن الكريم .

-*الحديث الشريف* . أولا : المصادر :

- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم الجزري) ت ٦٣٠م /١٢٣٢م .
- الكامل في التاريخ , تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي , دار الكتب العلمية , بيروت ١٩٨٧م
------ : أسد الغابة في معرفة الصحابة , دار ابن حزم , بيروت – لبنان ٢٠١٢م .
- الأزدي : (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي) ت ٣٢١هـ / ٩٤٢م .
- الاشتقاق , تحقيق عبد السلام محمد , دار الجيل , بيروت – لبنان ١٩٩١م .
- الأصبهاني:(أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق الأصبهاني) ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م .
- معرفة الصحابة , تحقيق عادل بن يوسف العزازي , دار الوطن , الرياض ١٩٩٨م.
- البكري : (أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .
المسالك والممالك , تحقيق أدريان فان ليوفن – أندري قيري , دار الغرب الإسلامي , بيروت ١٩٩٢م .
- ابن الجوزي : (أبو الفرج بن عبد الرحمن) ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٧م .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تحقيق محمد عبد القادر – مصطفى عبد القادر , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان ١٩٩٢م .
- ابن حجر العسقلاني : (أحمد بن على بن حجر) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م .
- فتح الباري في صحيح البخاري , تحقيق عبد القادر شيبة الحمد , مكتبة الملك فهد , الرياض ٢٠٠١م .
- ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م .
- جمهر أنساب العرب , تحقيق لجنة من العلماء , دار الكتب العلمية , بيروت ١٩٨٣م.
- أبو خيثمة : (أبو بكر أحمد بن أبى حنيفة) ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م
- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبى خيثمة , تحقيق صلاح بن فتحي هلال , الفاروق الحديثة , القاهرة ٢٠٠٦م .
- الذهبي : (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي) ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م .
- تاريخ الإسلام مشاهير ووفيات الأعلام , تحقيق بشار عواد , دار الغرب الإسلامي , بيروت – لبنان ٢٠٠٣م .
- ابن سعد : (محمد بن سعد) ت ٣٣٠هـ / ٨٤٥م .
- الطبقات الكبرى , تحقيق إحسان عباس , دار صادر , بيروت ١٩٨٦م .
- السهيلي : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي) ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م .

- الروض الأنف , علق عليه مجدى بن منصور , دار الكتب العلمية , بيروت (د.ت) .
- السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن) ت ٩١١هـ / ١٩٠٥م .
- الخصائص الكبرى , دار الكتب العلمية , بيروت ١٩٨٥م .
- الشامي : (محمد بن يوسف الصالحي الشامي) ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م .
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد , تحقيق عادل أحمد – على معوض , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان ١٩٩٣م .
- الصدفي : (عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي) ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م .
- تاريخ ابن يونس المصري , دار الكتب العلمية , بيروت ٢٠٠٠م .
- الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ / ٩٩٢م .
- تاريخ الرسل والملوك , تحقيق محمد أبو الفضل , دار المعارف , مصر ١٩٦٨م .
- العامري : (يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري) ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م .
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تخليص المعجزات والسير والشمائل, دار صادر , بيروت (د.ت).
- ابن عبد البر : (يوسف بن عبد البر النمري) ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م .
- الدرر في اختصار المغازي والسير , تحقيق شوقى ضيف , دار المعرف , القاهرة ١٩٨٢م .
- الفيومي : (أحمد بن محمد بن على الفيومي المقري) ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م .
- المصباح المنير , مكتبة لبنان , بيروت – لبنان ١٩٨٧م .
- ابن قانع : (أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي) ت ٣٥١هـ / ٩٦٢م.
- معجم الصحابة , تحقيق صلاح بن سالم , مكتبة الغرباء الأثرية , المدينة المنورة ١٩٩٧م .
- ابن القيسراني : (أبو الفضل محمد بن طاهر بن على بن أحمد المقدسي) ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م .
- الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط (المؤتلف والمختلف) , تحقيق دي يونج , طبعة ليدن , بريل ١٨٦٥م .
- ابن القيم : (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقي) ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م .
- زاد المعاد في هدى خير العباد , تحقيق شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة , بيروت ٢٠٠٩م .
- ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي) ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م البداية والنهاية , تحقيق عبد الله التركي , دار هجر , مصر ١٩٩٧م .
- ------- : : السيرة النبوية (من البداية والنهاية) , تحقيق مصطفى عبد الواحد , دار المعرفة , بيروت – لبنان ١٩٧٦م .

- محمد بن عمر : (محمد بن عمر بن مبارك الحميري) ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م .
- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار , دار المنهاج , جدة ١٩٩٨م .
- المرزباني : (أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزباني) ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م .
- معجم الشعراء , تحقيق ف . كرنكو , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان ١٩٨٢م .
- ابن هشام : (أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافري) ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م .
- السيرة النبوية , تحقيق عبد الرؤوف سعد , دار الجيل , بيروت ١٩٧٥م .
- الواقدي : (محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م .
- المغازي , تحقيق مارسدن جونز , دار الكتب , لندن ١٩٨٤م
- ياقوت الحموي : (شهاب الدين ابو عبد الله) ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .
- معجم البلدان , دار صادر , بيروت ١٩٧٧م .

ثانياً : المراجع العربية :

- أبو بكر الجزائري , هذا الحبيب يا محب , دار الشروق , جدة ١٩٨٩م .
- الحميدي , التاريخ الإسلامي , دار الأندلس , جدة ١٨٩٨م .
- على الصلابي , السيرة النبوية , ط٧ , دار المعرفة , بيروت– لبنان٢٠٠٨م .
- المباركفوري , الرحيق المختوم , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان ١٩٨٨م .
- محمود شاكر , التاريخ الإسلامي , المكتب الإسلامي , القاهرة ٢٠٠٠م .
- محمود شيت خطاب , غزوة بدر الكبرى , دار الفكر , الاسكندرية ٢٠٠٢م .
- مصطفى عبد الكريم , معجم المصطلحات والألقاب التاريخية , مؤسسة الرسالة , بيروت١٩٩٦م

الدوريات العلمية :

- إحسان صدقي :
- الجذور التاريخية للأسرة الأموية , حوليات كلية الآداب , العدد (١٧) , الكويت ١٩٩٦م .
- عبد الصبور مرزوق :
- السيرة النبوية في القرآن الكريم , رابطة العالم الإسلامي , العدد (٦) , رمضان ١٤٠١هـ .
- عبدالله بن سليمان المنيع :
- تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة , مجلة البحوث الإسلامية , العدد (٥٩) , الرياض ٢٠٠٠م .